الصباح الإسلامية
08
العدد 1915 - السنة السابعة
الخميس 19 رمضان 1435 - الموافق 17 يوليو 2014
Thursday 17 July 2014 - No.1915 - 7th Year

اختصها الله عز وجل وتعادل عبادة ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر

ليلة القدر.. خـ

■ يقدر فيها ما يكون في تلك السنة ويكتب فيها ما سيجري على العباد

■ للعبادة فيها قدر عظيم فمن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه

لقد اختص الله تبارك وتعالى هذه الأمة المحمدية على غيرها من الأمم بخصائص وفضلها على غيرها من الأمم بأن أرسل إليها أفضل الرسل والأنبياء وخاتمهم وآخرهم، وجعلها خير الأمم قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» [آل عمران].

وقد انزل لهذه الأمة الكتاب المبين، والصراط المستقيم، كتاب الله العظيم، كلام رب العالمين، قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» [الحجر]، وقال تعالى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» [فصلت].

فقد انزل الله عز وجل القرآن الكريم في ليلة مباركة هي خير الليالي، ليلة اختصها الله عز وجل من بين الليالي، ليلة العبادة فيها هي خير من عبادة الف شهر وهي ثلاث وثمانين سنة وثلاثة اشهر تقريبا، الا وهي ليلة القدر، قال تعالى: «إنا انزلناه في ليلة القدر، وما ادراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر» [القدر]، وقال تعالى: «إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل امر حكيم» [الدخان]، وسميت بليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله تبارك وتعالى، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك، كما قال تعالى: «فيها يفرق كل أمر حكيم» [الدخان].

سبب تسميتها ليلة القدر:

اولاً: انه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام، وهذا من حكمة الله عزوجل وبيان إتقان صنعه وخلقه...

ثانياً: سميت ليلة القدر من القدر وهو الشرف كما تقول فلان ذو قدر عظيم، اي ذو شرف لقوله تعالى: «وما ادراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر» وليلة خير من الف شهر قدرها عظيم ولاشك.

ثالثاً: وقيل لأن للعبادة فيها قدر عظيم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه]. وهذا لايحصل إلا لهذه الليلة فقط، فلو أن الإنسان قام ليلة النصف من شعبان، أو ليلة النصف من رجب، أو ليلة النصف من اي شهر، أو في اي ليلة لم يحصل له هذا الأجر. [الشرح الممتع 6/494].

يقول الشيخ ابن عثيمين: ان الإنسان ينال اجرها وإن لم يعلم بها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً» ولم يقل عالما بها، ولو كان العلم شرطاً في حصول هذا الثواب لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم.

علامات ليلة القدر:

1- قوة الإضاءة والنور في تلك الليلة، وهذه العلامة في الوقت الحاضر لا يحس بها إلا من كان في البر بعيداً عن الأنوار.

2- زيادة النور في تلك الليلة.

3- الطمانينة، اي طمانينة القلب، وانشراح الصدر من المؤمن، فإنه يجد راحة وطمانينة وانشراح صدر في تلك الليلة اكثر مما يجده في بقية الليالي.

4- ان الرياح تكون فيها ساكنة اي: لاتاتي فيها عواصف أو قواصف، بل يكون الجو مناسبا.

5- انه قد يُرى الله الإنسان الليلة في المنام، كما حصل ذلك لبعض الصحابة.

6- ان الإنسان يجد في القيام لذة اكثر مما في غيرها من الليالي.

7 - أن الشمس تطلع في صبيحتها ليس لها شعاع، صافية ليست كعادتها في بقية الأيام، ويدل لذلك حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: « أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها» [أخرجه مسلم].

تحري ليلة القدر:

ليلة القدر ليلة مباركة، وهي في ليالي شهر رمضان، ويمكن التماسها في العشر الأواخر منه، وفي الأوتار خاصة، وأرجى ليلة يمكن أن تكون فيها هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فكان أبي بن كعب يقول: « والله إني لأعلم اي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين» [أخرجه مسلم]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان متحريا فليتحرها ليلة سبع وعشرين، يعني ليلة القدر» [أخرجه أحمد بسند صحيح].

والصحيح أن ليلة القدر لا أحد يعرف لها يوما محددا، فعن عبدالله بن أنيس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها، وإذا بي أسجد صبيحتها في ماء وطين» قال: فمطرنا في ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف، وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه [أخرجه مسلم وأحمد]، وعن أبي بكرة: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «التمسوها في تسع يقين، أو سبع يقين، أو خمس يقين، أو ثلاث يقين، أو آخر ليلة» وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان صلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد. [أخرجه أحمد والترمذي وصححه].

وعن بن عمر رضي الله عنهما: أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أرى رؤياكم قد تواطأت - توافقت - في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » [متفق عليه].

وعن أبي سلمة قال: سألت أبا سعيد وكان لي صديقا، فقال: اعتكفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال: «إني أريت ليلة القدر، ثم أنسيتُها أو نسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر، وإني رأيت أني أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع «فرجعنا وما نرى في السماء قزعة - قطعة - فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان» [متفق عليه].

وعن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور - يعتكف - في رمضان، العشر التي في وسط الشهر، فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه، ورجع من كان يجاور معه، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله، ثم قال: «كنت أجاور هذه العشر ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليثبت في معتكفه، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر، وقد رايتني أسجد في ماء وطين»، فاستهلت السماء في تلك الليلة فامطرت فوكف المسجد - خر من سقفه - في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طيناً وماءً» [متفق عليه].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور - يعتكف - في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» [متفق عليه].

وعن بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى» [أخرجه البخاري]. قال أبو سلمة: قلت يا أبا سعيد: إنكم أعلم بالعدد منا، قال أجل نحن أحق بذلك منكم، قال قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرين فالتي تليها ثنتين وعشرين وهي التاسعة، فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة.

وقال بن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي في العشر، هي في تسع يمضين، أو في سبع يبقين» يعني ليلة القدر. قال عبد الوهاب عن أيوب وعن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: «التمسوا في أربع وعشرين» [أخرجه البخاري].

وعن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى - تخاصم - رجلان من المسلمين فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» [أخرجه البخاري].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «رأى رجل أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها» [أخرجه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أريت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي، فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر - البواقي -» [أخرجه مسلم].

وعن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدتها حصير، قال فأخذ الحصير بيده فنحاها في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه فقال: «إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف، فاعتكف الناس معه، قال: «وإني أريتها ليلة وتر، وأني أسجد صبيحتها في طين وماء، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلي الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد - قطر الماء من سقفه - فأبصرت الطين ظاهرا، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وأنفه كلاهما فيهما الطين ظاهرا وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر» [متفق عليه].

وعن عبد الله بن أنيس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها، وأراني صبحها أسجد في ماء وطين» قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف، وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال:

دروس رمضان «17»

للشيخ محمد إبراهيم الحمد

اما اهميته فيكفي انه شرط لقبول العبادة: فالعبادة تقوم على شرطين هما: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول - صلى الله عليه وسلم - قال الله - تعالى -: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ».

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يقول الله - تعالى -: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملاً، فأشرك فيه غيري - فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك» رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - متحدثاً عن الإخلاص وفضله وأهميته: «بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب رحى القرآن الذي تدور عليه رحاه».

إلى أن قال - رحمه الله -: «قال - تعالى - في حق يوسف: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ».

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور المحرمة، والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله.

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله، والإخلاص له بحيث تقلبه نفسه على اتباع هواها.

فإذا ذاق طعم الإخلاص، وقوي قلبه - انقهر بلا علاج» ا - هـ.

معاشر الصائمين هذا هو مفهوم الإخلاص، وذلك شيء من أهميته وفضله.

هذا وإن للصيام أثراً عظيماً في تربية النفوس على فضيلة الإخلاص، والا يراعى في الأعمال غيرُ وجه الله - جل وعلا -.

ذلكم أن الصائم يصوم إيماناً واحتساباً، ويدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله - تعالى - وأي درس في الإخلاص اعظمُ من هذا الدرس؟

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

قال ابن حجر - رحمه الله - قوله: «إيماناً»: أي تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه، و«احتساباً»: أي طلبا للأجر، لا لقصد آخر من رياء ونحوه» ا - هـ.

وفي البخاري - أيضاً - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ يترك طعامه وشرابه، وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها».

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح الحديث: «قوله: «يترك طعامه وشرابه، وشهوته من أجلي» هكذا وقع هنا، ووقع في الموطأ «وإنما يذر شهوته» الخ... ولم يصرح بنسبته إلى الله، للعلم به، وعدم الإشكال فيه».

وقال - رحمه الله -: «وقد يفهم من صيغة الحصر في قوله: «إنما يذر» الخ... التنبيه على الجهة التي بها يستحق الصائم ذلك، وهو الإخلاص الخاص به، حتى لو كان ترك المذكورات لغرض آخر كالتخمة لا يحصل للصائم الفضل المذكور» ا - هـ.

معاشر الصائمين: هكذا يربينا الصوم على فضيلة الإخلاص؛ فالصوم عبادة خفية، وسرٌ بين العبد وربه، ولهذا قال بعض العلماء: الصوم لا يدخله الرياء بمجرد فعله، وإنما يدخله الرياء من جهة الإخبار عنه.

بخلاف بقية الأعمال: فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها.

ولا ريب أن الإخلاص من أعظم الخصال، وأحمد الخلال إن لم يكن أعظمها وأحمدها.

ثم إن للإخلاص آثارَهُ العظيمة على الأفراد بخاصة، وعلى الأمة بعامة، فللإخلاص تأثير عظيم في تيسير الأمور، فمن تعكست عليه أمورُه، وتضايقت عليه مقاصده - فليعلم أنه بذنبه أصيب، وبقلة إخلاصه عوقب.

والإخلاص هو الذي يجعل في عزم الرجل متانة، ويربط على قلبه؛ فيمضي في عمله إلى أن يبلغ الغاية.

وكثيرٌ من العقبات التي تقوم دون بعض المشروعات لا يساعدك على العمل لتذليلها إلا الإخلاص.

ولولا الإخلاص الذي يضعه الله في نفوس زاكيات لحرم الناسُ من خيرات كثيرة تقف دونها عقبات.

أيها الصائمون: قد يَخِل الرجل في بعض الأعمال، ويتغلب عليه الهوى في بعضها؛ فيأتي بالعمل صورةً خاليةً من الإخلاص.

والذي يرفع الشخص إلى أقصى درجات الفضل والمجد إنما هو الإخلاص الذي يجعله الإنسانُ حليفَ سيرته؛ فلا يُقدم على عمل إلا وهو مستمسك بعروته الوثقى.

ولا تبالغ إذا قلت: إن النفس التي تتحرر من رق الأهواء، ولا تسير إلا على وفق ما يمليه عليها الإخلاص هي النفسُ المطمئنة بالإيمان، المؤدبة بحكمة الدين، ومواعظه الحسنة.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه؛ فأحبا قلبه، واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف ضد ذلك.

بخلاف القلب الذي لم يُخلص لله؛ فإن فيه طلباً، وإرادةً، وحباً مطلقاً؛ فيهوى كل ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه كالقفص أي نسيم مرّ به عطفه وأماله» ا - هـ.

وللحديث بقية - إن شاء الله - في الليلة القادمة، اللهم ارزقنا الإخلاص في ما نأتي وما نذر، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

الصوم والإخلاص «2»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الحديث في هذه الليلة إكمال للحديث الماضي، ألا وهو الإخلاص.

معاشر الصائمين: إذا أخلص المسلمُ صيامه لله، وقام به على الوجه الذي يرضي الله كان ذلك داعياً له لأن يخلص لله في شتى أموره، وكافة أحواله، وسائر أيامه، فربُّ رمضان هو ربُّ سائر الشهور، والذي فرض الصيام هو الذي فرض غيره من سائر الطاعات والقربات، والذي يُتقرَّبُ إليه بالصيام هو الذي يُتقرَّبُ إليه بسائر الأعمال.

وهكذا يفيد المسلمُ هذا الدرس العظيم من شهر الصوم.

ولقد وقف الحديث في الدرس الماضي عند أثر الإخلاص على الأفراد بخاصة، وعلى الأمة بعامة؛ فإليكم جملة من تلكم الآثار التي تعود بالخير على الأفراد والجماعات.

أيها الصائمون: الإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح، فصغير الأعمال - بالإخلاص - يكون كبيراً، وقليلها يكون كثيراً.

والإخلاص هو الذي يحمل الإنسانَ على مواصلة عمل الخير؛ فمن يصلي رياءً، أو حياءً من الناس لابد أن تمرَّ عليه أوقاتٌ لا ينهض فيها إلى الصلاة، ومن يحكم بالعدل؛ ابتغاء السمعة، أو خوف العزل من المنصب قد تعرض له منفعةٌ يراها الذ من السمعة، أو يصادفه أمن العزل - فلا يبالي أن يدع العدل جانباً.

ومن يدعو إلى الإصلاح ابتغاء الجاه قد ينزل بين قوم لا يحظى بينهم إلا من ينحط في أهوائهم، فينقلب داعياً إلى الأهواء.

ومن يفعل المعروف لأجل أن تردد ذكرهُ الألسنة في المجالس أو الصحف قد يرى بعينه سبيلاً من سبل الخير في حاجة إلى مؤازرة؛ فيصرف عنه وجهه وهو يستطيع أن يمد إليه يده، ويسد حاجته.

أيها الصائمون: الإخلاص الذي يقوم على الإيمان الصادق هو الذي يسمو سلطانه على كل سلطان، ويبلغ أن يكون مبدأ راسخاً تصدر عنه الأعمال الصالحة.

يتبع